

الموضوعات التقنية ومطلب الاعتراف

في مفهوم الثقافة التقنية عند جليبار سيموندون

*The technics objects and the Acknowledgment.
The Simondon's notion of technical culture*

أ/عمر بدري*

Email : phéno.labo@gmail.com

جامعة صفاقس، تونس

تاريخ الإرسال: 2019/07/15 تاريخ القبول: 2020/03/28 تاريخ النشر: 2020/07/09

الملخص :

يتبوأ مفهوم الاعتراف منزلة متميزة في سياق الفلسفة المعاصرة، حتى أخذ المفهوم مدلولات متنوعة وثرية بحسب تنوع المنظومات النظرية والعملية التي يطرح ضمنها. يتعلّق الأمر في هذه المحاولة بمباشرة تفكير في مفهوم الاعتراف من جهة دلالاته الاصطلاحية التي تسعفنا بها المعاجم والألسن، ومن جهة ما يمكن أن يشي به التقاطع بين الاعتراف ومعاني أخرى مجاورة مثل المعرفة والتعرّف والعرفان. ولكنّ محاولتنا لا تتوقّف عند مستوى الجرد الاصطلاحي والتتبّع التحليلي لمعاني الاعتراف في تاريخ الفلسفة، بل إنّنا نعمل أيضا على اختبار مدلول الاعتراف خارج سياقاته الإتيقية والاجتماعية والسياسية المتداولة، أي داخل إشكالية العلاقة بين الثقافة والتقنية كما تجد تمفصلها النسقي في كتابات جليبار سيموندون التي يمكن الاعتماد عليها لإيضاح شكل طريف للعلاقة بين المعرفة والاعتراف لا على أساس التقابل أو التنافرو إنّما على أساس التشارط والتلازم. المحصّلة المحورية التي تؤوّل إليها هذه الدراسة تتمثّل في إمكان القول بأنّ اكتساب الثقافة لكونيّتها وتحزّرها من التصادم مع التقنية هو أمر يشترط إقرارا لجذلية المعرفة والاعتراف.

المؤلف المُرسل

الكلمات المفتاحية: التقنية ؛ الثقافة ؛ الاعتراف؛ النزعة الإنسانية ؛ الوجود.

Abstract:

Le concept de reconnaissance occupe une place considérable dans les multiples courants de la philosophie moderne et contemporaine. Cette importance supposée contribue, par conséquent, à enrichir et à mieux pénétrer la signification de la reconnaissance, de telle sorte qu'il serait possible de distinguer essentiellement trois significations pour cette notion. De Hegel à Habermas, de la Théorie critique à Ricœur, la reconnaissance, en vue de ce qu'elle a de rapport avec la connaissance, se meut à travers les domaines de la conscience, de l'éthique, du social et du politique. Il ne s'agit pas seulement, dans cette étude, de déterminer les modes de transformation et de développement du concept de reconnaissance à travers les langues. On se propose aussi bien d'une mise à l'épreuve de la reconnaissance à la lumière de la question formulée et investiguée par Gilbert Simondon dans son du mode d'existence des objets techniques, concernant le rapport entre la culture et les objets techniques. La conclusion capitale à laquelle cette étude peut aboutir consiste à affirmer un tel parallèle entre l'intégration de la technique dans l'édifice de la culture et le devenir dialectique du rapport entre connaissance et reconnaissance.

Keywords : Technic; Culture; Aknowledgment; humanism; Being.

مقدمة: في حدّ الاعتراف

يشغل مفهوم الاعتراف مكانة متميّزة في تاريخ الفلسفة على الأقلّ منذ هيغل، الذي نستطيع انطلاقاً منه أن نؤرّخ للنشأة الفلسفية النّسقية لهذا المفهوم. و الطّريف في أشكاله المعاصرين لمُدلول الاعتراف هو العمل على تبينة فضاءات بعينها يمكن طرح المفهوم وتشغيله بداخلها. ولئن تزامن تشغيل الاعتراف فلسفياً مع ارتباطه بالتأسيس لوجود الوعي من حيث ما هورهان الفكر الحديث برمّته¹، إلّا أنّ هذا المفهوم أخذ يتشكّل شيئاً فشيئاً ليتصرّف مقولة محورية في نظريّات التواصل و الفلسفة الاجتماعية و الفنونمينولوجيا. فالتحوّل من هيغل إلى هابرماس²، و من الفنونمينولوجيا إلى ريكور³ و أكسيل هوناث⁴ يعكس بالتأكيد هيئات متنوّعة يصطبغ بها المفهوم، حتّى صار بإمكان هذه

المدارس المتنوعة تفعيل مفهوم الاعتراف بهدف خدمة رهانات عملية وبغاية فكّ احراجات تلازم سياقات إنسانية علائقية. بهذه الكيفية يصبح مفهوم الاعتراف طاقة مفهومية ذات بعد عمليّ تتحرك بين الإتيقي والسياسي والاجتماعي. إنّ مفهوم الاعتراف يصبح عموما بمثابة نمط العلاقة البديلة عن علاقات النقي والاحتقار والتفاق الاجتماعي والإنكار، مهما كانت صيغة تلك العلاقات، فردية أو جماعية، أخلاقية أو سياسية، فكرية أو جسدية، ثقافية أو دينية.

خارج هذا التأريخ السرديّ السريع للنشأة الفلسفية للاعتراف⁵، وهو ما ليس هو من شأن هذه الدراسة، يبدو لنا أنّ الحفر الاستقصائي في الدلالات المعجمية لمصطلح الاعتراف يمكن أن يزيد في تمكين الثقل الدلالي والإشكالي للمفهوم، خصوصا بالنظر إلى العلاقات التي تطلب الإيضاح بين الاعتراف والمعرفة والعرفان والتعرف. ففي اللسان العربي، نلاحظ ثراء الدلالات التي يحتملها الجذر (ع. ر. ف) اشتقاقا وتصريفا، والتي يمكن إجمالها إلى المعرفة والاعتراف والتعرف والعرفان والعرف والعرافة (وهي تدبير الأمر وإقامة السياسة) والعرفان والعرف. ولكننا لا نكاد نعتز على تمييز حاد وواضح بين المعرفة والاعتراف من جهة الاشتقاق، فالمعرفة تفيد عامّة الإدراك والفهم. أمّا الاعتراف فتجمل دلالاته إلى الإقرار والانقياد⁶.

هذا التقارب اللساني بين المعرفة والاعتراف نجده متوسّخا أيضا في الألسن الأخرى. و سواء تعلّق الأمر باللفظة الفرنسية reconnaissance أو الألمانية Erkennen و Wiedererkennen أو الانجليزية Acknowledgment أو Thancfulness فإنّ ما يسترعي الانتباه هو انطواء هذه الألفاظ، التي تُنقل إلى الاعتراف، على الجذر الذي تُشتقّ منه المعرفة، وهو connaissance و kennen و knowledg. وهو أمر لا يفرض علينا أن نتمسك كثيرا بالمسافة الفاصلة بين المعرفة التي تعني الإدراك، تماما كما هو الحال في اللسان العربي، وبين الاعتراف الذي يصبح مرتبطا في هذه الألسن بمعاني الاستحضار والتذكّر ونشاط الذاكرة⁷.

إنّ هذه الإضاءة الاشتقاقية لا تثبتنا بموجب التباعد اللّساني الظاهر بين اللّفظتين عن الطمع في وجه من وجوه العلاقة الأصيلة بينهما، وإنّما تدعونا إلى تدبّر علاقة المعرفة بالاعتراف على نحو أعمق، من جهة الأولوية المفترضة لإحدى المقولتين على حساب الأخرى، أو من جهة التماسف الذي لا يقبل الاختزال أو حتّى من جهة القراءة الجدلية لهذه العلاقة. وبناء على هذا المعطى يتوضّح غرضنا في هذه المحاولة من حيث هو اختبار مفهوم الاعتراف وتجريب طاقته الدلالية ضمن المجال الذي يتّصل فيه هذا المفهوم بمشكل العلاقة بين الثقافة والتقنية. ولئن بدت هذه الخطوة ترحيلاً لمفهوم الاعتراف خارج مجالات استعماله الطبيعية التي تُجمل عموماً إلى ما هو إتيقي و ما هو سياسي و ما هو اجتماعي، إلا أنّ خصوصية العلاقة الإشكالية بين الثقافة والتقنية لا تبدو غريبة، من حيث أشكال حسمها و من جهة تصريفاتها الواقعة و الممكنة، عن هذه السياقات. وإذا مثّلت علاقة الثقافة بالتقنية سؤالاً رافق التفكير الفلسفي منذ بدايته الإغريقية، فإنّ الوجه الأوضح لهذه العلاقة يمكن أن يُفهم تحت عنوان " الصراع من أجل الاعتراف ". إنّه بهذا المعنى تحديداً نروم التفكير في دلالة مفهوم الاعتراف من زاوية نظر انتروبولوجية تخصّ علاقة الثقافة بالتقنية. ولتفصيل دلالة الاعتراف و تبعات تكريسه أو إنكاره من هذه الزاوية، وجدنا أنّ المساحة المرجعية التي تحفظ منزلة متميّزة لهذا الإشكال و لفرضيته المتّبعة هي بعض نصوص الفيلسوف الفرنسي جيلبار سيموندون⁸ (Gilbert Simondon)، الذي خصّص لفكر التقنية و لماهية الثقافة نزراً هاماً من كتاباته.

1- الاعتراف و التقنية: التشريع لعلاقة ممكنة

قد لا يخلو هذا المنحى الذي ننتهجه في أشكلة مفهوم الاعتراف من بعض الصعوبات النظريّة و المنهجية التي يمكن بسطها بهذه الصيغة التساالية: أيّ مسوغ لترحيل مفهوم الاعتراف من حقوله الرحمية التي تولّد فيها (الحقل الإتيقي و الحقل الاجتماعي) نحو تنزيله منزلاً انتروبولوجياً ؟ و أيّ إمكان للجمع بين الحقل الدلالي للمعرفة و الاعتراف و التعرّف

و العرفان و الحقل الدلالي لكونية الثقافة و إبداعية التقنيات و تكوينية الموضوعات التقنية (la genèse des objets techniques) و حيوية الآلات ؟ أي صيغة للاعتراف يمكن العثور عليها في النصّ السيموندي الذي تجتمع فيه القضايا الابستمولوجية بالقضايا العملية وتتألف فيه الأسئلة الميتافيزيقية والأنطولوجية مع المشكلات المعرفية و الثقافية و يلتقي فيه التقنيّ و الميكانولوجيّ مع الدينيّ و الجماليّ و الإتيقيّ و السياسيّ ؟

لاستكشاف دلالة الاعتراف و رهاناته و أنماط تصريحه، سوف نعلم بشكل أساسي على كتاب في نمط وجود الموضوعات التقنية⁹، الذي كتبه سيموندون في إطار بحث تكميلي للدكتوراه و نشره بنفسه سنة 1958. ولكنّ هذا الكتاب لا يحتفل في الحقيقة بمفهوم الاعتراف على نحو ما تعتني به مثلاً فلسفات أخرى كالنظرية النقدية أو النظريات السياسية أو الأطروحات الاجتماعية أو نظريات التواصل. بل إنّ هذا الكتاب ينصرف في أقسام هامة منه إلى الغوص في مبحث تحليلي لنشأة الكائنات التقنية و سيرورة تعيينها.

فأيّ وجهة عندئذ لشدّ مفهوم الاعتراف إلى مبحث فلسفة التقنية ؟

إنّ عودة متأنية إلى استهلال مؤلف في نمط وجود الموضوعات التقنية يمكن أن تسعنا برفع هذه الصعوبة المنهجية حتى يصبح تدبر مفهوم الاعتراف من منظور فلسفة التقنية خياراً مشروعاً. ذلك أنّ رهان سيموندون، فيما يفصح عنه هذا الاستهلال، هو إصلاح الثقافة (la réforme de la culture) من خلال الوعي بقيمة الواقع التقني و القدرة على إدماجه كمكوّن أساسي للبناء الثقافي للإنسانية¹⁰. وهذا الرهان يحمل معه الإحالة على واقع التصادم و النكران و الاحتقار و الصراع الذي يطغى على علاقة الثقافة بالتقنية. و بالتالي فما يُطرح على طرفي هذه الثنائية هو الاضطلاع بمطلب الاعتراف و الصراع من أجله. ولنا أن نقول بصيغة أخرى إنّ جدلية النكران و الاعتراف، أو الاحتقار و الاعتبار هي المحرك الأساسي للعلاقة الواقعة أو الممكنة بين الثقافة و التقنية، و إنّ مشروع سيموندون في هذا الكتاب من حيث هو " إصلاح للثقافة " يصبح من جهة إمكانه رهين تأهيل دلالة الاعتراف تأهيلاً يسمح بتجاوز التصادم بين الثقافي و التقني.

2- بؤس " الانسانية الساذجة " و معاداة الكائن التقني :

في استهلال كتاب في نمط وجود الموضوعات التقنية، يحدّد سيموندون مشروعه الفلسفي المتمثل في "استحثاث الوعي بمعنى الموضوعات التقنية". لكن العقبة التي تحول دون تحقّق هذه المعرفة الوافية بطبيعة التقنيات هي بنية الثقافة الراهنة التي يفهمها سيموندون باعتبارها تكوّن نفسها " كنسق دفاعيّ ضدّ التقنيات"¹¹. إنّ سيموندون لا ينوي صياغة تقريظ دوغمائي للعالم التقني أو التبشير بمحاسن التقنية من منظور تكنوفيلي محض، مثلما أنّه لا يخطر من جهة أخرى في المعاداة المجانية للتقنيات تحت مسوِّغ تكنوفوبي نفسي على نحو ما يعتقد وجود هذه النزعة عند هيدغر مثلاً¹². فالصّرامة و الرويّة اللتان تطبعان فكر سيموندون هما ضمانته الابدستيمولوجية و الإتيقية من السّقوط في غلوّ الأحكام أو في عى الانتماء أو في سذاجة التمرس. إنّ سيموندون ينطلق من معاينة واقع ثقافي قائم يبني على الانغلاق والإنكار والتجاهل لكل ما يستجدّ في النظر و الممارسة، و خصوصاً لما تكون التقنية هي الحاضنة لهذا المستجد.

إنّه لو عدنا مثلاً إلى الإطار التاريخي الذي ألّف فيه سيموندون كتابه حول التقنية (أي خمسينيات القرن العشرين)، لوجدنا أنّ سيموندون لم يكن يخشى من الصيرورة الهائلة للعلوم و التقنيات و تدقّقها المتنامي، على شاكلة ما كان هيدغر مهووساً من هيمنة الغشّتل و ابتلاعه لكلية العالم، و على نحو ما عبّر اينشتاين عن شعوره بالذنب و اللعنة، و على جهة ما توجّس كارل يسبرس أو كارل بوبر من الاجتياح النووي للعالم أو من استثمار الأنظمة الكليانية الصاعدة من نتاجات التقدّم التقني-علمي. لم يكن سيموندون مسكوناً بمثل هذه الانطباعات و الانفعالات نظراً لكون الثقافة الراهنة برأيه هي أصلاً كيان مغلق ينكر المستجدّ و المغاير و لا يقبل أن تخترقه مفاعيل التقنيات. و إن جاز أن ننسب لسيموندون خشية ما، فإنّنا نقول إنّ ما كان عليه أن يخشاه و ما كان موضوعاً لاستنارة الريبة بالنسبة إليه ليس هو التقدّم التقني المنفلت و إنّما هو تجاهل

الثقافة الراهنة لعالم التقنيات و إنكارها لأهلية الآلة و استكبارها عن الاعتراف بجدارة الموضوعات التقنية.

ينطلق سيموندون من تشخيص موضوعي لواقع الثقافة السائدة بعيدا عن التخفي وراء المواقف الضدية المسبقة، إمّا هوس التكنوفوبيا (l'obsession de la technophobie) و إمّا إيديولوجيا التكنوفيليا (l'idéologie de la technophilie). فكلّا الموقفين لا يصدران عن تعامل رصين مع الموضوعات التقنية. و غياب هذه الرصانة و طغيان ثقافة الإنكار هما السمة المميّزة للشكل الأخير و الرّاهن من الإنسانية، هي تلك التي يصطلح عليها سيموندون بعبارة الانسانية الساذجة أو السهلة (le facile humanisme). يقول سيموندون في هذا الصدد: " إنّ التعارض الواقع بين الثقافة و التقنية و بين الإنسان و الآلة هو تعارض خاطئ لا أساس له. فهو لا يخفي غير جهل أو إضطغان، يخفي خلف إنسانية ساذجة واقعا ثريا من الجهود الإنسانية و من القوى الطبيعية، واقعا مكّونا لعالم الموضوعات التقنية كوسائط بين الطبيعة و الإنسان"¹³.

إنّ التركيز على شبكة من المفاهيم التي يستعملها سيموندون في هذا الشّاهد يمكن أن يُسعفنا بتنشيط فعليّ لمفهوم الاعتراف في سياقه الانتروبولوجي. ذلك أنّ تقييم سيموندون لنمط تعاطي الثقافة مع الظاهرة التقنية بتوسّط عبارات الجهل و الإضطغان و السذاجة هو تقييم نقدي بالأساس، يلوّح إلى المسلك البديل الذي هو إمكان مطروح على الثقافة الراهنة، و هو أنّ التخلص من جهل واقع التقنية من خلال معرفة منطق اشتغالها الداخلي هو ما يسمح بالتعرّف على المآتي الإنساني للتقنيات و من ثمة الاعتراف بالكيانات التقنية (les êtres techniques) و إدماجها ضمن البنية الأساسية للثقافة. إنّ ما يعيبه سيموندون على الثقافة الراهنة هو تكريسها لنمط أخير من الانسانية هو ما يسمّيه الانسانية الساذجة. و إنّما تتأتّى سذاجة الانسانية و ذحلها من تشكيل الهوية الثقافية نفسها من عدّة دفاعية تضاد الجّدة التقنية مضادتها للغريب الذي يهدّد الكيان و الذي لا تعمل الثقافة على إدماجه و معرفته فضلا عن الاعتراف به. إنّ الثقافة الراهنة، في عيون سيموندون، تسقط في البؤس المتأتّى من معاندتها للواقع التقني، حتّى

وإن تظاهرت باستثمارها له أو تلحّفت برداء التقدّم التقني. نقرأ في مقدّمة كتاب في نمط وجود الموضوعات التقنية مقطعا يعلّل فيه سيموندون أساس الاغتراب الذي يلفّ الحياة المعاصرة : " إنّ السبب الأقوى للاغتراب في العالم المعاصر يكمن في هذا الجهل بطبيعة الآلة، وهو اغتراب لا تُحدثه الآلة بحدّ ذاتها، بل يُحدثه عدم المعرفة بطبيعتها و بماهيتها، اغتراب يُحدثه غياب الآلة من عالم الدلالات و من سلّم القيم و المعاني المكوّنة للثقافة "¹⁴.

الاغتراب مأتاه الجهل بالطبيعة الداخلية لعالم الآلات، و تخطّي وضع الاغتراب يبقى مشروطا بحركتي المعرفة بالمنطق الداخلي لاشتغال التقنيات و الاعتراف بإنسانية الكينونات التقنية. فالاعتراف بالأصل الإنساني للكائن التقني ليس معطى حاصلا في تاريخ الثقافة و إنّما هو إمكان يتطلّب معرفة سيرورة التقنيات و نظام العلاقات التي تحكمها. و من هنا فإذا كنّا نروم التفكير مع سيموندون في علاقة الثقافة بالتقنية على أساس مقولة الصراع من أجل الاعتراف، فإنّه يبدو هنا أنّ الاعتراف لا ينفصل في الحقيقة عن المعرفة، وأنّ الفرق بينهما، في ضوء المعالجة الانتروبولوجية التي يباشرها سيموندون، ليس فرقا بين فضاء نظري ابستمولوجي و فضاء عملي إتيقي أو اجتماعي. إنّ الفرق بين المعرفة و الاعتراف، وفقا لما تفرضه طبيعة الإشكالية الانتروبولوجية، يأخذ في الانمحاء شيئا فشيئا لصالح علاقة شرطية و تحاضر (coprésence) جدلي تتحوّل بمقتضاه المعرفة إلى قاعدة ما قبلية ينبني عليها الاعتراف. الاعتراف يصبح بهذا المعنى ضرورة تحتّمها استمرارية الثقافة و حيويّتها و يستدعيها استكمال بناء عالم إنساني حرو مفتوح و في حل من أشكال الاغتراب. و في غياب محرك الاعتراف، تستحيل الثقافة إلى كيان مغلق و سكوني و تتحوّل الإنسانية بدورها في عبارة سيموندون إلى " إنسانية كسولة و مرهقة ".

يميز سيموندون بشكل نسقي بين ثقافتين : ثقافة مكتملة أو سوية و ثقافة جزئية أو مبتورة¹⁵، فالأولى تسمح باستكشاف الغريب باعتباره وجها إنسانيا وتعمل على إدماجه و استضافته كعنصر مكون لبنيتها. أمّا الثانية فيمقتضى احتكامها إلى مبدأ خشية الغريب (la xénophobie primitive) فهي تنوّهم الاعتلاء على عالم الموضوع أو عالم الآلة

أو عالم التقنيات، باسم هوس إنسانيّ باثولوجي. إنّ ما يثير الحيرة بالنسبة إلى سيموندون هو اندفاع متأصل في الثقافة الراهنة نحو استغراب الظاهرة التقنية والبحث عن الاحتماء منها بواسطة اختلاق إنسانويات زائفة، سواء كانت هذه الإنسانويات دينية أو فلسفية أو أخلاقية أو سياسية، في الوقت الذي تستقبل فيه الثقافة موضوعات من طبيعة مماثلة كالموضوع الاستيتيقي (L'objet esthétique) أو الموضوع المقدّس (L'objet sacré). هذا التمييز التفاضلي الذي تكرّسه الثقافة في مواجهة الموضوعات و الظواهر المستجدة ليس في الحقيقة علامة على انسجام الهوية الثقافية و تماسكها و سلامة علاقتها بذاتها و إنّما هو دليل وضعها المرضيّ المتمزّق. يقدّم سيموندون تعليله لهذه الماهية المرضيّة للثقافة فيقول :

" تكون الثقافة مختلّة التوازن لكونها تعترف بقيمة بعض الموضوعات، كالموضوع الاستيتيقي مثلا، و تبوّئها جدارة التموقع داخل عالم الدلالات، و لكنّها من جهة أخرى تكبت بعض الموضوعات و خصوصا التقنية منها، و تحشرها في عالم بلا بنية و لا دلالة، في عالم الاستعمال و التوظيف النافع"¹⁶.

يبدو جليّا هنا أنّ الجهل بطبيعة الكائن التقني و إنكار قيمته الإنسانية هما علّة اغتراب الثقافة و بؤس الإنسانية الحالية. و لذلك يصبح ثنائية المعرفة و الاعتراف هي المدخل الضروريّ لمشروع إصلاح الثقافة و استشراف إنسانية جديدة يهيّئها اقتدارها لتصالح ذاتها و تستردّ منسبها. في أيّ وجه إذن يتحوّل الاعتراف إلى أساس لا مردّ له لإصلاح الثقافة ؟ و إذا كان هذا المشروع، على نحو ما يصوغ سيموندون عبارته و يضع أسسه في مؤلّف 1958، لا يكاد ينأى في مضامينه و تبعاته عمّا هو سياسيّ اجتماعيّ، من أيّ جهة نستطيع القول بوجود سياسة اعتراف على غير منوال عند سيموندون ؟ .

3- فلسفة الاعتراف كأساس لإصلاح الثقافة

يحدّد سيموندون ماهية الفلسفة من حيث هي "حدس للواقع" مهما كانت هيئة هذا الواقع. وإذا حملنا دلالة هذا الواقع على جهة الإحالة على الواقع الثقافي الراهن، يصبح من مهام الفلسفة تشريح البنية الثقافية للإنسانية ما وإيضاح الخلفية النظرية التي تنبني عليها ماهية رؤاها وتصوّراتها والعلائق التي تربط مكوناتها من الداخل. وبالفعل، حينما يتعلّق الشأن بعلاقة الثقافة بالظاهرة التقنية على وجه الخصوص، يراهن سيموندون على ما الفلسفة من اقتدار على التأليف (synthesis) و يبوّئها وظيفة كونية شاملة. إنّ الفلسفة عند سيموندون هي تلك الرؤية التي يُطرح عليها اقتضاء رأب الصدع القائم بين الثقافة والتقنية، وتلك مهمّة تجد عبارتها الجامعة في عنوان الفصل الأخير من القسم الثاني من مؤلّف في نمط وجود الموضوعات التقنية: "يتوجّب على الفكر الفلسفي إدماج الواقع التقني داخل الثقافة الكونية، من خلال تأسيس تكنولوجيا"¹⁷. هذه الوظيفة الانثروبولوجية للفلسفة تقوم على تخطّي الاحتقار والاعتلاء والإنكار بما هي أعراض لثقافة ميّنة وسكونية، بمعنى أنّه يكون على الفلسفة التي يوكل لها سيموندون دورا تعديلياً (une fonction régulatrice) تدريب الثقافة على تبني إتيقا الاعتراف بالظاهرة التقنية. الاعتراف، لا في مفهومه الفنونمينولوجي أو العملي بل في اعتباره ضرورة ثقافية ملحة. إنّ الثقافة لا تستردّ كونيتها ولا تستعيد حيويتها إلّا داخل اقتدارها الخاص على تحرير ذاتها من أخلاقيات الاحتقار والجهل والإنكار وعلى تجذير نفسها في أرضية الاعتراف بشبكة من الموضوعات هي بالأصل نتاجات إنسانية. ولتبرير هذه المسلكية الأخلاقية التي تنتهجها الثقافة الراهنة في استقبالها السلبي للظاهرة التقنية، يذهب سيموندون بهذا الواقع إلى أصوله البعيدة، بالقول إنّ استضافة الثقافة للموضوعات التقنية أو معاداتها واستغرابها لها هو أمر يعود إلى نمط الانسانية التي تحتضن تلك البنية الثقافية. ويميّز سيموندون من هذا المنطلق بين ضريبن ممكنين من الانسانية، تمييز نستطيع قراءة تفاصيله في نصّ يعود إلى سنة 1954 يحمل عنوانا مثيرا لا يبدو في علاقة رأسية بالتقنية

هو مقدمات لإصلاح التعليم¹⁸. يقول سيموندون وهو يرسم الحدود بين إنسانية قديمة وإنسانية حديثة :

" لقد كانت الانسانية القديمة بالمعنى الواسع ثقافة ممتدة و متحوّلة و ثريّة. لكنّها مثّلت بالمعنى الدقيق أنماط الممارسة الإنسانية، أي تفعيل تلك الإرادة الخالقة التي تسمح للإنسان الحرّ، الذي تجاوز أشكال التمييز الاجتماعية بين السيّد و العبد، بأن يعترف بالعبد كإنسان و يجعل منه كائنًا يفكّر و يشعر و يريد...إنّ مشروع الانسانية القديمة القائم إلى اليوم هو إعادة اكتشاف الإنسان، لكي نقوله في عبارة حكيم تيرونسا (le sage vieillard de Térence) لا شيء ممّا هو إنسانيّ يكون غريباً عنيّ. لكن إذا كانت الإنسانية القديمة تعمل على إعادة اكتشاف الإنسان داخل الإنسان، فإنّ الانسانية الحديثة تسعى إلى إعادة اكتشافه داخل سجنه الحديث، أي داخل نتاج العمل الإنساني الذي هو الكائن التقني " ¹⁹.

ما يهمّنا من هذه القسمة بين نمطين من الانسانية هو المنزلّة التي يشغلها الكائن التقني من ذهنية ثقافية ما. إنّ مطلب الانسانية الحديثة التي ينتصر لها سيموندون هو بالتالي المراهنة على البحث داخل الكائنات التقنية عمّا هو إنساني فيها، و بهذا المعنى يصبح الاعتراف بالبعد الإنساني لعالم التقنيات متماهيا مع الاعتراف بنصيب من الماهية الإنسانية ظلّ مكبوتا تحت مسمّى الغريب اللّا إنساني. و بالمقابل فإنّ استغراب التقنيات يخفي نسياناً لجهد إنساني وجد سبيل تموضعه في عالم التقنيات. إنّ مهمّة الفلسفة هي من هذا المنطلق استنهاض فهم لذلك التّصيب الإنساني المبثوث في التقنية، على أنّ هذا الفهم ليس مجرد تقنية جافّة في التأويل و الكشف و الاستقراء، وإنّما هو حصالة تعالق داخلي بين المعرفة و الاعتراف، بين الجهد التحليلي لمسار نشأة الموضوعات التقنية و تطوّرهما، وهو مسلك التحرّر من الجهل، و بين تأهيل هذه الموضوعات على نحو الاعتراف ببعدها الإنساني و بقيمتها الثقافية، و هو مسلك التحرّر من الاحتقار و الإنكار. وإنّه يبدو بهذه المثابة أنّ الفلسفة مدعوة عند سيموندون إلى ضمان التّأليف بين معرفة عملياتية (connaissance opératoire) ناتجة عن معايشة للكائنات التقنية من

قريب واعتراف ثقافي (reconnaissance culturelle) بإنسانية هذه الموضوعات. هذه المهمة التأليفية الإستيعالية من شأنها إحداث تغيير على الفلسفة من جهة تحديدها الماهوي، على نحو تصبح معه الفلسفة متماهية مع التكنولوجيا. الفلسفة بما هي تكنولوجيا، أو ما يسمّيه سيموندون ميكانولوجيا²⁰ (mécanologie) ، هو إقرار يدعو الفلسفة إلى الاستجابة لاقتضاء مضاعف : العمل من جهة أولى على تحصيل فهم يستوفي طبيعة الكائنات التقنية و أنظمتها العلائقية الداخلية، و من جهة ثانية ضمان إدماج هذه الكائنات ضمن العالم الثقافي كمكوّن جوهريّ له. فالإقتضاء الأوّل هو تعبير عن الفلسفة كنظرية معرفة تنصبّ على خصوصية الوجود التقني، أمّا الاقتضاء الثاني فهو يترجم الفلسفة كنظرية اعتراف تؤسّس للمصالحة بين التقنية والثقافة.

خاتمة :

جملة الأمر إذن أنّه على خلاف التقويمات المعاصرة²¹ التي تؤهّل الاعتراف في وجهه الإتيقي أو الاجتماعيّ أو السياسيّ تأهيلاً هو في ذات الوقت نقضاً لأولوية المعرفة في شكلها الحديث و إقراراً لأولوية الاعتراف على حساب المعرفة، تتّضح محاولة سيموندون تخطّيًا لمسلكية المفاضلة الساذجة أو الانتقاء الأحاديّ أو الانتصار المجاني لأحد طرفي الثنائية و إعادة رسم للعلاقة بين المفهومين، في ضوء رهان المصالحة بين الثقافة والتقنية، لتصبح المعرفة مفهومة لا من حيث هي عنف الذات العارفة التي تصادر الاعتراف بل من حيث هي أساس الاعتراف و شرط إمكانه.

المصادر والمراجع :

- ¹ أنظر هيجل، فنومينولوجيا الروح، ترجمة و تقديم ناجي العوذلي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2006، ص 267-278.
- ² Habermas, *L'intégration républicaine. Essais de théorie politique*, Paris, Fayard, 1996. Essentiellement le Chap.III intitulé « La lutte pour la reconnaissance ».
- ³ نخيل على آخر ما كتب ريكور حول الاعتراف ك مفهوم قابل للانطباق على المسألة الإثنية بشكل أساسي :
- Paul Ricœur, *Parcours de la reconnaissance*, Paris, Stock, 2004 (la première étude en particulier).
- ⁴ Axel Honneth, *La réification. Petit traité de Théorie critique*, traduit de l'allemand par Stéphane Haber, Paris, Gallimard, 2007, pp. 53-79.
- ⁵ و هو ما مثل مشغلا أساسيا للعديد من الدراسات التي نذكر من بينها بعض الأعمال الحادة للباحث آلان كايي و المتمحورة حول نظرية الاعتراف و رهاناتها النظرية و العملية. انظر مثلا :
- Alain Caillé, « La reconnaissance aujourd'hui. Enjeux théoriques, éthiques et politiques du concept » in. *Revue du Mauss*, N° 23-2004, pp. 88-115.
- Alain Caillé, (dir.), *La quête de reconnaissance*, Paris, La découverte, 2007.
- ⁶ انظر ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، دار الحديث، القاهرة، 2003، ص 194-199.
- ⁷ A. Lalande, *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*, tome II, Paris, Quadrige, 1992, pp. 895-896.
- ⁸ هو فيلسوف فرنسي معاصر توفي سنة 1989 و ترك أعمالا فلسفية أصيلة مثلت منابع هامة لعدة مفكرين كبار مثل جيل دولوز في فرنسا و جيورجيو أغامبي في إيطاليا. و إتينا نقدر من مهمتنا أن المنزلة التي أخذ اليوم يُحطى بها فكر سيموندون من خلال العودة البحثية إلى آثاره خصوصا في أوروبا لم تواكبا عودة عربية إلى هذه الفلسفة التي تنتظر القراءة و الاستضافة. بخصوص حالة البحث العربي في فكر سيموندون، لا تكاد هذه الحالة تراوح العدم لولا بعض الجهود المتواضعة التي تبقى على أهميتها غير كافية، و هي تقريبا هذه الدراسات الثلاثة :
- بن حديد عرف، "جلبار سيموندون فيلسوف التقنية و التفرد"، مجلة دراسات (جامعة قسنطينة)، العدد السادس، 2017، ص 257-284.
- عمر بدري، "الكينونة و التفريد. مدخل لقراءة جلبار سيموندون" مجلة مينرفا، المجلد الرابع، عدد 2، 2018، ص 141-153.
- عمر بدري، "ما الفردنة الجماعية ؟ الأساس الأنطولوجي للسياسي عند سيموندون" مجلة الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، العدد 11، 2018، ص 107-117.

⁹ Gilbert Simondon, *Du mode d'existence des objets techniques*, Paris, Aubier, 1958, (la cinquième édition en 2012).

¹⁰ المصدر نفسه، ص 13.

¹¹ المصدر نفسه، ص 9.

¹² تمثل نصوص هيدغر إطارا مرجعيا هاما للتفكير في مسألة التقنية و مآلاتها و انعكاساتها الأنطولوجية و العملية على الكينونة في العالم. و إنَّ الاعتماد على المنطق الداخلي لمسار التفكير السيموندوني في ظاهرة التقنية يفرض معالجة المقاربة الهيدغرية للمسألة كما لو كانت لا تعدو

أن تكون سوى مقارنة توجسسية تكنوفوية قائمة على الخوف من تبعات العالم التقني. هذا الأمر هو ما يحملنا على القول إنه لا إمكان للجمع بين تحليلات كتاب سيموندون في نمط وجود الموضوعات التقنية و نصوص هيدغر حول التقنية التي نذكر منها مثلاً مقالة " مسألة التقنية " :

Heidegger, « La question de la technique » in. Essais et conférences (traduction française), Paris, Gallimard, 1958, pp. 9-47.

13 Simondon, Du mode d'existence des objets techniques, p. 9 : « L'opposition dressée entre la culture et la technique, entre l'homme et la machine, est fausse et sans fondement ; elle ne recouvre qu'ignorance ou ressentiment. Elle masque derrière un facile humanisme une réalité riche en efforts humains et en forces naturelles, et qui constitue le monde des objets techniques, médiateurs entre la nature et l'homme ».

¹⁴ المصدر نفسه، ص 10. يحسن التنبيه إلى أن مسألة الاعتراض و أصوله و عوامله و إمكانات التحزّر منه هي مسألة محورية تشغل حيزاً هاماً من تحليلات كتاب سيموندون. و الواقع أنّ تناول سيموندون لهذه المسألة يأتي في سياق تشريحه النقدي لبنية الثقافة و علاقتها الضدّية مع الظاهرة التقنية، مع ما يتبع هذه العلاقة من استدعاء لفضاءات العمل و رأس المال و الإنتاجية، و هو محمد مكنّ سيموندون، خلال عقد حوار جدي مع تراث فلسفات الاعتراض مثل فويرباخ و ماركس أساساً، من بناء مقارنة جديدة بخصوص فكرة الاعتراض و تجاوز التقويمات الكلاسيكية لها. عن تفاصيل اللقاء بين سيموندون من جهة و فويرباخ و ماركس من جهة ثانية راجع :

Simondon, Du mode d'existence des objets techniques, (essentiellement le second chapitre de la Partie II et la Conclusion).

Simondon, « Psychosociologie de la technicité » in. Sur la technique, Paris, P.U.F, 2014, p. 55-57.

¹⁵ من المهمّ في هذا المقام الإشارة إلى وجود تقارب واضح بين سيموندون و أكسيل هوناث. فالأوّل يعترض على الموقف الاتروبولوجي القائم على رفض المعطى التقني و الفصل من ثمة بين عالم إنساني تقني و عالم لا إنساني تقني أو ميكانيكي. و الثاني، حتّى و إن كان يشغل على مفهوم الاعتراف ضمن أرضية مغايرة، فإنّه يعتبر أنّ هذا التمييز بين عالمين هو علة التقوط في التشيئة (la réification) باعتبارها نسياناً للاعتراف و إغفالاً لواقع إنساني يضاهي تراءه تراء العالم التقني التزمري. من أجل الذهاب بهذه المقارنة إلى مداها العميق، أنظر :

Axel Honneth, La réification. Petit traité de Théorie critique, traduit de l'allemand par Stéphane Haber, Paris, Gallimard, 2007, pp. 70-79.

سيموندون، في نمط وجود الموضوعات التقنية، مصدر مذكور، ص 16.10

المصدر نفسه، ص 17.203

18 Simondon, « Prolégomènes à une refonte de l'enseignement » in. Sur la technique, Paris, P.U.F, 2014, pp. 233-256.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 253.

²⁰ سيموندون، في نمط وجود الموضوعات التقنية، ص 13.

²¹ على سبيل المثال تلك الأبحاث التي تبني تصوّراتها لاتيّقاً الاعتراف على أساس الفرضية المتمثلة في كون التأسيس الحديث للمعرفة، كتأسيس يقوم على الفصل بين عالم الذات و عالم الموضوع، يُسهّم في تكريس التشيئة التي تسقط بدورها في نسيان الاعتراف. يمكن أن نخيل في هذا السياق على بعض الاتجاهات التي باتت تمثّل تقليداً فلسفياً قائماً مثل :

-Axel Honneth, La réification, op, cit, Chap. III, pp. 53-68.

-Habermas, Morale et communication, (traduction française), Paris, Cerf, 1996.

-P. Ricœur, Parcours de la reconnaissance, Paris, Stock, 2004.